جامعة بنها
كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

فلسفة الحضارة بين المفكر والفيلسوف

إعداد/

آية محمد إبراهيم علي ندا

إشراف /

أ.د مسعد عطية صقر
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة
كلية الآداب – جامعة بنها

أ.د محمد عبدالحفيظ
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة
كلية الآداب – جامعة بنها

المجلد ٦٤ ابريل ٢٠٢٥
https://jfab.journals.ekb.eg/

الملخص :

تناول هذا البحث مفهوم الحضارة وعلاقتها بالفلسفة والتعرف علي فلسفة الحضارة وأشهر روادها ومعرفة مفهوم فلسفة التاريخ وتعتبر الحضارة الانسانية هي صورة لكفاح الانسان في هذه الحياة وهي تمثل أرقي ما وصل إليه الانسان في تنمية واكتساب القيم الاخلاقية وتمثل أرقي صورة وصل اليها المجتمع الانساني في التقدم العلمي والفني، ان كفاح الانسان ومحاولته الدائمة للاستفادة من كل عناصر الوجود لبناء نفسه وحضارته فهو يرتبط بقيم أخلاقية متفق عليها وقادرة علي التكيف معها ومع القوي الطبيعية المختلفة والاستفادة منها هو الذي يجعل لحياة الانسان ذات قيمة ومعني وبدون هذا الكفاح تتجمد الحياة الانسانية ويتوقف النمو الحضاري عند حد معين،ومن المستحيل أن يتوقف الانسان عن تطوير حياته لأن هذه فطرة الله في الانسان ،فالحضارة الانسانية دائما ما تتجدد وتتطور

كما تناول البحث أهم فلاسفة الحضارة وهم عبدالرحمن بن خلدون حيث حدد الأطوار التي تمر بها الحضارة وتحديد القواعد أو المبادئ التي تقوم عليها والفيلسوف كوندرسيه حيث وضع مبدئين لدراسة التاريخ وهما:مبدأالقانون العام– ومبدأالتقدم ومعرفة تقسيم تاريخ الحضارة الي عشرة عصور و اشبنجلر ووضعه تمييز بين التاريخ والطبيعة فالتاريخ مطبوع بطابع الحدوث مرة واحدة اما الطبيعة مطبوعة بطابع الامكان باستمرار ومبدأ الصيرورة و معرفة منهج اشبنجلر في دراسة التاريخ وأهمية التعارف علي المظاهر المتعاصرة من الحضارة و دوائر الحضارةعند اشبنجلر

الكلمات المفتاحية: الحضارة،فلسفة الحضارة،فلسفة التاريخ،بن خلدون،كوندرسيه،شبنجلر

تمهيد:

تعد مشكلة الانسان ووجوده وصيرورته هي المشكلة المركزية التي تشغل اهتمام المفكرين علي مر العصورواجتهدوا للردعلي التساؤلات ماذا تعني الحياة الانسانية وما هي طبيعة الانسان وعلاقته بالطبيعة وبنفسه وبالآخرين وما هو مغزي وجوده في العالم كما وجه الفلاسفة أنظارهم نحو المستقبل،كما يربطونه بتقدم البشرية ويتنبأوا بمصير الانسان والحضارة البشرية في المستقبل .

تعتبر الحضارة والمعارف الانسانية كلها سلسلة محكمة يُؤثر سابقها في لاحقها ويتأثر حاضرها بماضيها والحضارة الانسانية ليست حِكرا لأحد أو ملكا لأمة بعينها لأنها صرح هائل قائم و مرتبط بالعلم لان العلم هو أساس ازدهار الحضارة واستقرارها ولذا فقد جذب دراسة الحضارة العديد من الباحثين والمؤرخين والفلاسة وعلماء الانثروبولوجيا وغيرهم المهتمين بالحضارة لاكتشاف أسباب نشتها الحضارة وازدهارها والتفاعل بين الحضارات وانجازاتها وسقوطها ومن رواد فلاسفة الحضارة عبدالرحمن بن خلدون وكوندرسيه وأزوالد اشبنجلر

أهمية الدراسة :تتمثل في معرفة فلسفة الحضارة وفلسفة التاريخ وأهم روادها

تساؤلات البحث :تتمثل في ما هو مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا؟

ما هو المبدأ العام للتاريخ والحضارةعند كوندرسيه؟

ما هي دوائر الحضارة عند شبنجلر؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الي معرفة مفهوم الحضارة وعلاقتها بالفلسفة ومعرفة فلسفة الحضارة وأشهر روادها و مفهوم فلسفة التاريخ ،وابراز أهم فلاسفة الحضارة وهم عبدالرحمن بن خلدون وتحديد الأطوار التي تمر بها الحضارة و القواعد أو المبادئ التي تقوم عليها الحضارة و وضع كوندرسيه مبدئين للتاريخ وهما:مبدأالقانون العام– ومبدأالتقدم و تقسيم تاريخ الحضارة الي عشرة عصور،و معرفة منهج اشبنجلر في دراسة التاريخ–أهمية التعارف علي المظاهر المتعاصرة من الحضارة و دوائر الحضارة أو التعاقب الدوري للحضارات

منهج الدراسة:المنهج التحليلي النقدي

أولا: الحضارة وفلسفة الحضارة

لا شك أن السؤال عن معني "الحضارة" يعد سؤالا صعبا لأن ثمة تعريفات ومقاربات كثيرة حول الحضارة بعضها يأتلف وبعضها يتناقض ،ولعل السبب في ذلك السجال بين الكُتاب حول "الحضارة "سَببه ذلك التمييز الشائع بين الحضارة والمدنية علي اعتبار أن أن الحضارة أقرب ما تكون الي التعبير عن التقدم في الجانب الروحي والأخلاقي والديني والفني للبشر ،بينما المدنية أقرب ما تكون الي التعبير عن الجانب المادي والتقدم التقني الذي يحققه البشر في المجالات الاقتصادية كانت أو معمارية أو طبية أو هندسية ...الخ[١]

وتعد الفلسفة هي الانعكاس المجرد الواعي لحقبتها الحضارية ومن ثم هذه التقدميات الخلاقة في أعطاف الفلسفة الراهنة انعكاسا ومحصلة للقفزة الحضارية الشاملة

(١) مصطفي النشار: في فلسفة الحضارة ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥، ص٢٣

بالانتقال في النصف الثاني من القرن العشرين من مرحلة الحداثة الي مرحلة ما بعد الحداثة فالفلسفة نجدها تختلف عن العلم في أن الجديد لا يلغي القديم ويحذفه بل يستوعبه ويتجاوزه وتلك المسافة التقدمية في الفلسفة انما تُدرس وُتُدَرس علي خلفية وأصولية من الكلاسيكيات الخالدة عبر مراحل تاريخ الفلسفة الممتد بطول تاريخ الحضارة الانسانية وعرضها [١]

والحضارة في اللغة هي الاقامة في الحضر ،استخدم الفعل يتحضر لوصف عملية التحول من الوضع البدائي الطبيعي الي وضع أكثر تقدما تحقق بفضل التقدم الأخلاقي والفكري والاجتماعي ومع أن استعمال اللفظ قديم ،فان أول من أطلقه علي معني قريب من معناه الحاضر هو ابن خلدون، وللحضارة عند المحدثين معنيان أحدهما موضوعي مشخص والآخر ذاتي مجرد .أما المعني الموضوعي فهو اطلاق لفظ الحضارة علي جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل الي جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة ولكل حضارة نطاقها وطبقاتها ولغتها فنطاقها هو حدودها الجغرافية ،وطبقاتها هي آثارها المتراكمة بعضها فوق بعض في مجتمع واحد أو في عدة مجتمعات ولغتها هي الأداة الصالحة للتعبير عن الأفكار السياسية والتاريخية والعلمية والفلسفية .أما الحضارة بالمعني الذاتي المجرد فتطلق علي مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش [٢]

([١]) يُمني طريف الخولي:الفلسفة ..التقدم،مجلة الاهرامات ،العدد٤٩٧١٨،السنة١٤٧،٢٠٢٣،https://gate.ahram.org.eg

([٢]) المعجم الفلسفي : جميل صليبا ،دار الكتاب اللبنانية ،الجزء الأول ،بيروت ،١٩٨٢ص٤٧٦

والحضارة في المفهوم العام هي أعلي درجات التقدم ،وهي تقوم علي الالتزام بمنهج العلم والأخذ بقواعد المنطق والبرهان في معرفة الحقائق والدعوة الدائمة للمعرفة والعلم والعمل وذلك من أجل تحقيق الاستفادة من العلوم والمعارف وتحقيق رفاهية الأمة وتقدمها وذلك في إطار احترام النظام والقانون وتطبيق مبدأ العدالة وتكافؤ الفرص[١]

الثقافة هي مجموعة من المعارف والفنون والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل مكتسبة أسباب التقدم والرقي والوعي ،فالثقافة باختصار نوع من السلوك والتفكير والاحساس يكتسب صاحبه شخصية معينة يتلقاها من بيئته الاجتماعية ،فالثقافة تنعكس في السلوك والانتاج والأخلاق والفنون وتنتشر بين أفراد مجتمع معين لتفرق بينهم وتكسبهم طابعا خاصا يتميزون به عن غيرهم[٢].

الحضارة تشمل ثقافات متعددة متنوعة واحترام التنوع والاختلاف داخل الحضارة له الأولوية علي الاعتراف بالتنوع بين الحضارات المختلفة ومن هنا فان فهمنا لحضارتنا وتكونها وعناصرها المختلفة ودراستها ومعرفة مكوناتها ونقاط الضعف والقوة والضعف فيها يكون هو الأساس في فهمها أي ما يميزها عن غيرها وما تشترك فيه مع غيرها من من حضارات لادراك القيم المختلفة التي تقوم عليها[٣]

المدنية من المصطلحات المستحدثة والتي تدل في معناها علي المعاصرة والتقدم المادي والتكنولوجي،ومعاني التحضر والتمدن والتطور في الانتاج ،والمدنية هي أساس الحضارة ولا تقوم الحضارة بدونها كما أنها لا تقوم بغير الثقافة ،لأن الثقافة هي الفكر ، أما المدنية فهي التحقيق والتطبيق لهذا الفكر بالعمل والانتاج ،ولذا قيل

(١) عبدالحميد درويش :فلسفة الحضارة (قضايا ومناقشات)،دار الكتب المصرية ،القاهرة،٢٠١٩،ص ١٩.

(٢) أميرة حلمي مطر:عن القيم في الفلسفة والحضارة ،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،٢٠٠٦ ،ص٤١.

(٣) أحمد عبدالحليم عطية :مستقبل الحوار بين الحضارات ،مجلة أوراق فلسفية ،القاهرة،العدد٢٠٠٩،٢٤،ص١٦٥

ان المدنية هي الرقي في العلوم العملية التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء والاقتصاد العام الذي يشمل الزراعة والصناعة والتجارة وكافة المكتشفات والاختراعات ،ولهذا كان الاجماع علي أن المدنية هي التقدم العملي في مختلف العلوم والفنون[١] وربما يرجع ذلك التمييز الي استخدام أحيانا مصطلح Culture أو Kultur بالألمانية للتعبير عن الحضارة بينما استخدم أحيانا أخري مصطلح Civilization للتعبير عن المدنية لكن الحقيقة أن كلا المصطلحين قد يستخدم للتعبير عن الحضارة [٢]ونستخلص العلاقة بين الحضارة والثقافة والمدنية الي نتيجة مفادها أن لكل حضارة مكونين رئيسيين هما الثقافة والمدنية ،فالثقافة تشمل الجانب الروحي والفكري وهي المكون (النظري)للحضارة والذي يعطي للحضارة هويتها الذاتية وطابعها الخاص وسماتها المميزة ،والتي تنفرد بها عن باقي الحضارات ،أما المكون الثاني للحضارة فهو المدنية أي المكون (المادي)وهو يشمل الجانب العملي (التطبيقي)للحضارة وهو بدوره نتاج للمكون الاول في تفاعله مع بيئته وفقا لشروط تحددها ثقافة كل أمة من الأمم ،وهذان المكونان الرئيسان للحضارة هما مجال التلاقي بين الحضارات فتأخذ الحضارة اللاحقة عن الحضارة السابقة .والمحصلة النهائية هي عملية تراكمية يتقدم فيها اللاحق علي السابق ولكن تبقي هذه المحصلة النهائية عبارة تراث انساني مشترك تسهم فيه كل حضارة بنصيب يتفاوت كما ونوعا ويتسع الاتصال بين الحضارات يوما بعد يوم وخصوصا في عصرنا الراهن بعد قيام ثورة معلوماتية وثورة الاتصالات [٣].

(١) عبدالحميد درويش: فلسفة الحضارة (قضايا ومناقشات)، مرجع سابق، ص٢٤.
(٢) مصطفي النشار: في فلسفة الحضارة، مرجع سابق، ص٢٣.
(٣) زياد عبدالكريم: توينبي ونظريته التحدي والاستجابة (الحضارة الاسلامية نموذجا)، مرجع سابق، ص١٦.

ويقول ابن خلدون" الاجتماع للانسان ضروري والانسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدينة وهو معني العمران" [١]فتبدأ الحضارة الانسانية عندما يصبح الانسان فرداً في مجموعة (مجتمع) وتكيفت حياته مع الآخرين ،لأن العيش في مجتمع يدعم ويرسخ مبدأ حسن المعاملة كمبدأ أول للتعايش السلمي والأمان مع الرفاهية اساس لتطور الفنون ،ثم يأتي العلم والفلسفة ليتحقق التقدم الحضاري للبشرية .[٢]

كما عرف لالاند Andre LaLande(١٨٧٦-١٩٦٣)الحضارة بأنها مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة ،ذات طبيعة قابلة للتناقل تتسم بسمة دينية ،أخلاقية ،جمالية فنية،تقنية ،أو علمية ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو في عدة مجتمعات مترابطة[٣].ولكل أمة تاريخها ،ولكل أمة ثقافتها ،ولكل أمة حضارتهاالخاصة التي تميزها عن غيرها من الأمم حتي ان البعض ذهب الي حد القول أنه حتي الأقوام المتوحشة لها حضارتها الخاصة بها علي الرغم من مما يبدو علي الحضارات من تشابه فيما بينها في إطارها العام أي في مسارها الخارجي عبر التاريخ الا أنه لكل حضارة روحها الخاصة وطبيعتها المختلفة ،ورؤاها المتميزة التي تجمع بين أبنائها [٤]

ويري جون ديويJohn Dewey(١٨٥٩-١٩٥٢) ان هناك ارتباط بين مفهوم الفلسفة والحضارة بطريقة غير مباشرة فالفلسفة ترتبط بالسياسة والادب والفنون التشكيلية

(١) عبدالرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ج١،تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م.كاترمير، باريس،١٨٥٨،ص٦٩.
(٢) هدي الخولي:فلسفة الحضارة وحوار الحضارات،مطبعة جامعة القاهرة،٢٠١٥،ص.٢٢٥
(٣) لالاند (أندريه): موسوعة لالاند الفلسفية ،الجزء الأول،ترجمة خليل أحمد خليل ،منشورات عويدات ، بيروت ط١،١٩٩٦،ص١٧٢
(٤) كروزيه (موريس):تاريخ الحضارات العام ،المجلد١،ترجمة فريد داغر،دار النهضة العربية ،بيروت،١٩٦٣،ص١٧

والتاريخ، والحضارة هي في حد ذاتها ظاهرة للثقافة الانسانية[١]وتحافظ الفلسفة علي اوثق صلة بتاريخ الثقافة مع تتابع التغييرات في الحضارة وتترقب الاكتشافات الجديدة للكرة الارضية والاكتشافات الجديدة في العلم والفلسفة ليست مجرد رد فعل سلبي للحضارة بل هي نبوءات هي الارتباط بين الجديد والقديم من أجل مستقبل مُلح[٢].

ورغم كثرة تعريفات الكُتاب والفلاسفة للحضارة يعتبرأفضل تعريف الذي قدمه البرت شفستر Albert Scheitzer(١٨٧٥-١٩٦٥) في كتابه فلسفة الحضارة ذلك التعريف الذي يري فيه ان الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير علي السواء، ففي هذا التعريف ما يؤكد تلاحم الجانبين الروحي والمادي في معني الحضارة ،كما أنه قد قدم الجانب الروحي علي الجانب المادي ،فاسبقية الروح علي المادة هي ما يؤكد في حضارة البشر إنسانية الانسان فلا معني لأي تقدم مادي ما لم يسبقه ويقوده تقدم في المجال الروحي والأخلاقي [٣]

ويري ألبرت شفستر الحضارة بانها بذل المجهود بوصفنا كائنات انسانية من أجل اكتمال النوع الانساني وتحقيق التقدم من أي نوع كان في أحوال الانسانية وأحوال العالم الواقعي وهذا الموقف العقلي يتضمن استعدادا مزدوجا :فيجب أن نكون متأهبين للعمل ايجابيا في العالم والحياة ويجب أن نكون أخلاقيين فالحضارة أكبر من مجرد رد فعل انها دراسة وتخطيط وتنفيذ وهذا الأمر غير متاح للجميع انها مقتصرة علي عدد محدود من الأفراد داخل المجتمع الذي يوجدون فيه[٤]

([1])Dewey,John:Philosophy and Civilization,NewYork ,1931, p 4

([2])Dewey,John:The role of philosophy in the History of Civilization ,The philosophy Review vol .36no1(Jan ,1927)p6.

([٣]) مصطفي النشار :في فلسفة الحضارة ، مرجع سابق،ص٢٤.

([٤]) اشفستر(ألبرت) :فلسفة الحضارة،ترجمة عبدالرحمن بدوي،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،١٩٨٣،ص٦.

وليست الحضارة الغربية بكافة مظاهرها إلاسليلة للحضارة الغربية القديمة (الحضارة اليونانية)[١].وقد تطورت الحضارة الانسانية عبر التقدم الذي أحرزه الغربيون منذ القرن السابع عشر وحتي الآن تطورا هائلا في كل مجالات الحياة . وقد استفاد الغربيون طوال هذه القرون بمشاركة وابداع البشر في كل قارات العالم وقادوا ذلك بنجاح أحيانا وبفشل أحيانا أخري لكن لا يزالون يملكون إدارة الدقة الحضارية للبشرية رغم أن حضارتهم منذ التوسع الاستعماري الذي قاموا به من خلال احتلال البلدان الافريقية والاسيوية وحتي الآن قد تحولت الي مدينة تعتمدعلي التقدم التكنولوجي والانحياز نحو تلبية المطالب المادية للبشر وفي هذا ما فيه من إيذان بانهيار هذه الدورة الحضارية التي قادوها لعدة قرون وبالفعل قد تنبأ العديد من الفلاسفة والمؤرخين ممن شغلوا بقراءة مستقبل مسار التاريخ الحضاري للبشرية بهذا الانهيارأمثال شبنجلر وتوينبي[٢].

ومن الجدير بالذكرأن لويس هنري مورجان *Lewis Morgan (١٨١٨-١٨٨١) الذي كان معنيا أساسا بتطور المجتمع البشري ،رأي أن التعاقب التطوري من الهمجية وعبر البربرية وصولا الي الحضارة انما يمثل قانونا عاما للتاريخ البشري ؛وعند التقريب لفكرة مورغان عن تطور التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية والثقافية والسياسية وفكرته عن التقدم أي الحركة من مرحلة الي المرحلة التالية لها ؛ فيري أن بداية الحضارة مرحلة الصيد والجمع الي الزراعة الي التصنيع وتهدف هذه الصورة الي ان تكون بمثابة مخطط تاريخي لتطور الحضارات [٣]

(١) مصطفي النشار :ضد العولمة ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٩،ص٣٣.
(٢) مصطفي النشار :في فلسفة الحضارة ،مرجع سابق،ص٢٨.
(3)Iberall, A. S. (1989) "Lewis Henry Morgan. Ancient Society," Comparative Civilizations Review: Vol. 21 : No. 21 , Article 8,p126

ويري هيدجر أن الوجود حقيقته هي التغيير والتجديد المستمر التي دخلت في مفهومنا المعاصر للزمان وانعكست في الأساليب الفنية المعاصرة سواء في الفنون الأدبية أو الموسيقية أو التشكيلية ويري أن جوهر الوجود الانساني أشبه بحادث زماني وليس هناك ما يكشف عن هذه الزمانية سوي فنون الانسان علي اختلاف أنواعها [١]

والحضارة شئ يتجاوز وجود المعارض الفنية الرفيعة فالحضارة مؤسسة انسانية شديدةالتطور يُحتمل كثيرا أن تكون اللوحات ،والتماثيل ،والمباني هي انجازات حضارية تلفت الأنظار لكنها تبقي انجازات غير مفهومة ان لم تترافق مع فهم للمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أنتجتها ودفعت تكلفتها ونفذتها وحافظت عليها الي أن أصبحت تحت الأنظار [٢]

لقد أكد جارودي Roger Garaudy * (١٩١٣-٢٠١٢)علي أن ما اصطلح الباحثون علي تسميته باسم " الغرب" إنما ولد فيما بين النهرين وفي مصر أي في أحضان حضارات الشرق القديم وانما من شربه لرحيق فكرها وعلومها المتقدمة ،فان الغرب الحديث قد ولد عبر نقل نهضة شاملة صنعها العرب والصينيون في العصر الوسيط [٣].

*مورجان (لويس هنري) عالم انثروبولوجيا امريكي ومنظر اجتماعي رائد واشتهر بنظرياته عن التطور الاجتماعي وكان معاصرا لكارل ماركس وفريدريك إنجلز فقد تأثروا بقراءة أعماله عن البنية الاجتماعية والثقافية المادية وتأثيرالتكنولوجيا علي التقدم

(١) أميرة حلمي مطر:عن القيم في الفلسفة والحضارة، مرجع سابق، ص٤٣

(٢) فرغسون(نيال) :الحضارة (كيف هيمنت حضارة الغرب علي الشرق)، ترجمة سعيد محمد الحسنية، المطبوعات للتوزيع والنشر ،لبنان ، ط٢، ٢٠١٤، ص٣٧.

*جارودي(روجيه) وهو مفكر فرنسي كان ماركسيا مسيحيا ثم اعتنق الاسلام ١٩٨٢وكتب جارودي "حوار الحضارات"هذا الكتاب التنويري الهام قبل إسلامه بمدة طويلة وقد أثار فيه العديد من القضايا الهامة والمثيرة وكان أبرز هذه القضايا هي قضية الحوار بين الحضارات التي يشير اليها عنوان كتابه ظل ملتزما بقيم العدالة الاجتماعية ووجد ان الاسلام ينسجم مع ذلك ويطبقه.**معجم الفلاسفة:جورج طرابيشي،دار الطليعة،بيروت،ط٣،٢٠٠٦،ص٤٢٠.**

(٣) مصطفي النشار :ضد العولمة، مرجع سابق، ص١٦٦

لاشك أن لكل حضارة فلسفتها وحضارة الغرب شقت طريقها نحو التقدم حينما استيقظت من سبات عميق بعد فترة طويلة من الركود والظلام مستلهمة علوم وفلسفات حضارات سبقتها فأخضعت أوروبا تراث الحضارات السابقة وأولها الحضارة الاسلامية للنقد واسقطت كل ما هو عائق حتي يتسني لها انتاج حضارتها ومواصلة حركة التاريخ ؛لقد عرفت حضارة الغرب طريقها نحو التقدم حينما تخلصت من أوضاع سياسية واجتماعية وثقافية راسخة فرضتها هيمنة الكنيسة والنظام الاقطاعي فلقد نهضت أوروبا لتسقط غبار قرون ماضية من كل أشكال التخلف والقوانين والأحكام المسبقة ؛فاتجهت بقوة نحو عقلانية جديدة انفصلت بموجبها عن عقلية العصور الوسطي ،فأعطت العقل المفكر الناقد المحلل مكانته يتحرر من كافة أشكال القمع والاضطهاد والجمود والخضوع والتبعية المفروضة والمسيطرة عليه من قبل الكنيسة والاقطاع وبدأت الحضارة الجديدة بحركات النهضة والتنوير وبدت ملامحها تظهر في الأفق في محاولات تحطيم سيطرة وهيمنة الكنيسة والاقطاع [١]

ولم تكن الحضارة الغربية جيدة كلها ،لأنه ما من كاتب جاد يزعم أن حكم هذه الحضارة لم يتوافق مع شوائب كثيرة .لكننا نجد مع ذلك آخرين يصرون علي أن هذه الحضارة لم تحمل معها شيئا من الخير يبدو هذا الموقف سخيفا .كانت حضارة الغرب ذات وجهين .أي كما كانت عليه كل الحضارات العظيمة الأخري ،كانت قادرة علي أن تكون نبيلة ،وقادرة علي أن تكون دنيئة .حملت الحضارة الغربية معها المنافسة والاحتكار والعلم والخرافة والحرية والعبودية، والعلاجات والقتل ،والعمل الشاق

(١) فيصل عباس:الفلسفة والانسان (جدلية العلاقة بين الانسان والحضارة) ، دار الفكر العربي ، بيروت،١٩٩٦، ص١١٥،١١٦

والتكاسل ،كان الغرب في كل حالة من هذه الحالات مصدر الخير والشر في آن واحد [١]

أكد جارودي فهي قناعته بضرورة الحوار بين الحضارات في العصر الراهن حتي يمكن للحضارة الغربية أن تتجاوز أزمتها وكذلك حتي يمكن للعالم المسمي بالعالم الثالث أن يتجاوز وضعه الراهن وقد تأكدت من خلال قناعته بأن الغرب حادث عارض .وأنه أخطر عارض طرأ في تاريخ الكرة الأرضية والذي يقود اليوم الي فناءها .وأن نجاة الغرب من هذا الفناء المحقق لا يمكن تجاوزه الا بالقضاء علي التصور التسلطي في الثقافة الغربية وأن يستعاض عنه بتصور سيمفوني يتطلع فيه الغرب بأسئلته وبحلول لمشكلاته الي حكمة العالم اللا الغربي وليس من سبيل الي ذلك الا بالانخراط في حوار حقيقي مع الثقافة غير الغربية [٢]

والحضارة بمفهومها العام هي كل مظاهر الابداع الفكري والمادي للحياة الانسانية في المجتمعات المختلفة ،أما فلسفة الحضارة هي دخول علم الفلسفة الي منطقة الحضارة دارسا ومحللا ومفسرا لمضمون ومبادئ والتعامل مع الحضارة كظاهرة فلسفية تخضع لفعل التفلسف[٣]

الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان علي الزيادة من انتاجه الثقافي ،وانما تتألف الحضارة من عناصر أربعة :الموارد الاقتصادية ،والنظم السياسية والأخلاق ومتابعة العلوم والفنون ،وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه اذا ما امن الانسان من

(١) فرغسون(نيال): الحضارة (كيف هيمنت حضارة الغرب علي الشرق)، مرجع سابق، ص٢٨.
(٢) مصطفي النشار: ضد العولمة، مرجع سابق، ص١٧٤،١٧٣.
(٣) هدي الخولي: فلسفة الحضارة وحوار الحضارات، مرجع سابق، ص٢٢.

الخوف ،تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الابداع والانشاء وبعدئذ لا تنفك لحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقة الي فهم الحياة وازدهارها[١]

ان مفهوم الحضارة هو مفهوم مزدوج فهو يشير من جهة الي القيم الروحية ،كما يشير في الوقت نفسه الي القيم المادية فنجد "كارل ماركس " حاول التمييز بين المادية Infnastntuncوالروحية Supenstvuctures وان كان اللفظان مرتهدين فيما بينهما بصورة ضيقة ،فنري شارل سبندبوسSeignobos يقول :ان الحضارة هي الطرق والموانى والأرصفة ولا تعني الروح فقط ،انها كل المعرفة والخبرة البشرية المكتيبة ويؤكد ذلك المؤرخ كافينياك cavaignucبقوله:ان الحضارة حد أدني من العلوم والفنون والنظم والفضائل [٢]وعلي الرغم من أهمية التقدم المادي الذي يمكننا من السيطرة علي الطبيعة واستغلالها لصالح الانسان الا أن ما هو جوهري هو الجانب الروحي والأخلاقي وذلك من خلال سيطرة الانسان بفعله علي نوازعه ويقصد به توجيه ارادة الأفراد والمجتمع وجهة تحقيق الخير للمجتمع بشقيه المادي والمعنوي [٣]

كما أكد ديكارتRene Descates(١٥٩٦-١٦٥٠) علي أهمية العقل بأسلوب مختلف قليلا في كتابه "مقال في المنهج"١٦٣٧اشار الي أن أنصاف الهمج بدءوا في التصرف علي نحو عقلاني عندما سنوا الشرائع والقوانين لتنظيم الجرائم والمشاحنات ،وأصبحوا عند هذا الحد متحضرين أو بعبارة أخري فان استخدام العقل عملية تحضر وأكد بعد ذلك أن المجتمعات المتحضرة أو الحديثة تميزت بأنها منظمة عقلانية

(١) ديورانت (ول): قصة الحضارة(نشأة الحضارة)، ترجمة زكي نجيب محمود، تقديم محيي الدين صابر، الجزء الأول، بيروت، بدون تاريخ، ص٣.

(٢) فرناند بروديل: تاريخ وقواعد الحضارات، ترحمة حسين شريف،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٩، ص٥.

(٣) مصطفي النشار :في فلسفة الحضارة، مرجع سابق، ص٢٦.

ومتفوقة علي أسلافها ومعاصريها الأدني عقلانية اذ استخدم ابناء المجتمعات المتحضرة العقل هاديا للتغير والتقدم علي عكس البرابرة والمتوحشين في مجتمعاتهم السكونية المتخلفة [١].

يري فرويدSigmund Freud(١٨٥٦-١٩٣٩) في كتابه الحضارة أن سمة تناقضا بين الحضارة وحاجات الانسان الاساسية يجد المجتمع المتحضر مهددا علي الدوام بالتفكيك وذلك لميله للعدوانية الغريزية التي يعيشها البشر فيما بينهم .ان مصلحة العمل المشترك لن تكفل تماسك ذلك المجتمع وذلك لأن العواطف الغريزية هي أقوي من المصالح المعقولة ويجب علي الحضارة استخدام أقصي جهودها من أجل وضع حدود لميول الانسان الغريزية ولأقوي من المصالح المعقولة فالحضارة هي عملية في خدمة ايروس(اله الحب عند اليونان)،وغايته هي جمع الافراد الوحيدين من البشر والعائلات بعد ذلك ،ثم الاعراق والشعوب والدول في وحدة عظيمة وهي وحدة الجنس البشري[٢]

لا شك أن" العلم" من المقومات الحضارية وهولا يقل أهمية وجوهرية بالنسبة للحضارة الانسانية عن الدين والأخلاق، ويُعد التقدم العلمي كان ولا يزال علامة بارزة من علامات التقدم الحضاري في كل العصور ولدي كل الحضارات [٣]

لا بد من الاهتمام بدراسة تاريخ الحضارة الانسانية ،وأهم الوقائع في ماضي البشرية علي مدي عصورها وما تضم من أحداث تؤدي بنا إلي إدراك مشاكل الحاضر والمستقبل ،فهي دعوة للتصدي للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية وما يسود المجتمع

(١) باترسون(توماس) : الحضارة الغربية(الفكرة والتاريخ)، ترجمة شوقي جلال المجلس الأعلي للثقافة، ٢٠٠١، ص٢٥.
(٢) فرغسون (نيال): الحضارة ،(كيف هيمنت حضارة الغرب علي الشرق)،مرجع سابق،ص٤١١.
(٣) مصطفي النشار: مدخل الي الفلسفة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٩٩.

البشري من صراعات وذلك في ضوء الإلمام بتعدد الحضارات،ولتأهيلهم بحيث يستطيعون عند قراءة صحيفة يومية استخلاص كنة ما تسرد من أخبار ومعلومات ولكن نري هل يحدث ذلك ؟للأسف لا وذلك لأن كثيرا من مناهج التربية اليوم انما تخرج شبابا لا يعلمون عن الماضي والتاريخ شيئا ،ذلك لان التاريخ وكتاباته –وهو العنصر الرئيسي الذي يضم تجارب البشرية – يواجه مشكلة كبري ،ومن ثم فلن يحظي بقابلية الحياة ضمير وطني أو إنساني بغيرها ولن يتسني بدون هذا الضمير إنشاء ثقافة أصيلة عن الحضارات الحقيقية في بقعة من بقاع الأرض أو مع شعب من الشعوب .

لا سبيل إلي دراسة التاريخ المعاصر ،بغير الرجوع المعاصر بغير الرجوع إلي ما سبق من أحداث مرت بها الشعوب ،ولا كذلك بالقياس الي التاريخ الحقيقي لمختلف الحضارات الانسانية بأسلوب ومنهج واضح ،بعيدا عن المبالغات ،حتي تتضح الصور الحقيقية التي اذا ما جمع بعضها الي بعض وجدنا أننا حيال لوحة إنسانية للحضارات فيسهل عندئذ تفهم التاريخ الحقيقي للحضارات الانسانية[١]

وما من مجتمع أو حضارة الا كان نابعا من انجازاتها الاقتصادية والتكنولوجية التقنية والديمغرافية وظروفها المادية عامة فأما البيولوجية فلها تأثير بلا نهاية له علي مصير الحضارة فانخفاض أو ارتفاع عدد البشر ،ازدهار أو تدهور الصحة العامة ،انطلاق وازدهار أو تدهور الاقتصاد تنعكس عبر البنيان الثقافي كما تنعكس عبر البنيان الاجتماعي و الاقتصاد السياسي في معناه الشامل.ولقد كان الانسان هو الاداة

(١) فرناند بروديل: تاريخ وقواعد الحضارات، مرجع سابق، ص٣،٤.

الوحيدة التي حركت هذه الامور فهو الصانع الأوحد لكل حضارة مادية ومشيدها صنعها بيديه [١]

ثانيا:فلسفة التاريخ

التاريخ دراسة للتطور البشري في جميع جوانبه السياسية والاجتماعية والفكرية والروحية ايا كانت معالم هذا التطور وظواهره واتجاهاته،وكلمة الحضارة في مفهومنا العام هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ،سواء أكان المجهود المبذول للوصول الي تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود ،وسواء أكانت ثمرة مادية أم معنوية .وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ ،لأن التاريخ هو الزمن والثمرات الحضارية تحتاج الي زمن لكي تنمو،أي أنها جزء من التاريخ أو نتاج جانبي للتاريخ وكما أن ثمر الزروع والأشجار لا ينمو الا بفعل الزمن ،اذ لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما في نفس الوقت فان ثمار الحضارة لا تظهر الا بإضافة الزمن الي جهد الإنسان[٢].

التاريخ في اللغة هو كل ما يتعلق بالانسان منذ أن بدأ يترك آثاره علي الأرض التاريخ، فعند أرسطو موضوعه كلي والتاريخ يتألف من أحداث متفرقة مدونة في وثائق ولا يزال هذا الاستعمال شائعا وهو ما نسميه التاريخ الطبيعي ،والتاريخ عند هيجلHegel (١٧٧٠-١٨٣١)دراسة فلسفية متمايزة التاريخ ليس وصفا لوقائع حدثت وانما هو ادراك للأسباب التي من أجلها حدثت هذه الوقائع [٣]لذا فدراسته كلية للعقل الانساني

(١) المرجع سابق: ص١٤.
(٢) حسين مؤنس: الحضارة (دراسة في أصولها وعوامل قيمها وتطورها)، مرجع سابق، ص١٤.
(٣) المعجم الفلسفي: مراد وهبة،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ص١٥٤.

ويتجلي اختلاف الوجود في الأفراد مثلما يتجلي في الجماعات الاجتماعية فكل كائن بشري وكل أمة فريدة جديرة بالتوقير والهدف من الاصلاحات التقدمية هو المحافظة علي تلك الفردية ودوام استمرار الصلة مع الماضي والتنبؤ بالممستقبل فالتاريخ يتناول أمة من الامم بالتنقيب في طوايا فكرها ومدي ارتباط ذلك الفكر بالدنيا والحياة [١]

تعد فلسفة التاريخ مبحث هام من المباحث الفلسفية حديثة العهد في الفكر الفلسفي فلم تتضح كعلم مستقل الا في القرن السابع عشر ثم تحددت معالمها في القرن الثامن عشر الذي شهد العديد من فلاسفة التاريخ من أمثال فيكو ومونتسيكو وفولتير وكوندرسيه وهردر وبلغ الاهتمام بالدراسات التاريخية ذروته في القرن التاسع عشر – حتي ليمكن أن نطلق عليه اسم "عصر التاريخ"علي يد أعلام هذا القرن أمثال هيجل وكونت وماركس وترجع أهمية فلسفة التاريخ الي حيوية موضوعها حيث تتناول بالدراسة حركة المجتمعات البشرية وتطورها وأسباب انهيارها وسقوطها في مرحلة معينة من تاريخها ،والقوانين التي تحكم حركة التاريخ وتطوره[٢]

ويرجع أول استعمال للفظ فلسفة التاريخ الي فولتير Francois Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨) وقد قصد بهذا المصطلح دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات وهو في ذلك يستهدف كل رواية غير مقبولة لدي العقل ومحتملة الشك ،وتعد نقطة الانطلاق في فلسفة التاريخ لدي فولتير من استنكاره أن تصبح دراسة التاريخ أكواما مترامية من المعارك الحربية والمعاهدات السياسية دون معني مفهوم أو حكمة بادية اذ أراد تنقيح

---

(١) ويد جري(آلبان .ج): التاريخ وكيف يفسرونه ج١، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط٢،١٩٩٦، ص٩٦.

(٢)عطيات ابو السعود:فلسفة التاريخ عند فيكو،منشأة المعارف ،الاسكندرية،١٩٩٧،ص٧

الدراسة التاريخية بما يمكن تسميته بالتاريخ النقدي أن يحرر الفكر الانساني من العبودية والخرافة والغباء من أجل نشر الحرية والتنوير والعقل ومهمة فلسفة الحضارة أن تتسع دراسة التاريخ لما هو أهم من أخبار المعارك وسير الملوك وحواديت البلاط ،أن يتبع سير العقل البشري ممثلا في شتي مظاهر النشاط الانساني[١]

ولقد استخدم هيجل كلمة فلسفة التاريخ أيضا في نهاية القرن الثامن عشر ولكنه أعطاه معني مختلفا فتعني تاريخا عالميا ولقد استخدمها أيضا الوضعين المنطقيين في القرن التاسع عشر التي كانت بمثابة اكتشاف القوانين العامة التي تحكم مسار الاحداث ولقد ولدت فلسفة التاريخ من خلال سعي الانسان لاعطاء تفسيرات عقلانية للأحداث فتسعي الي إكتشاف قانون يحكم الأحداث واعطاء تفسير منطقي لها من أجل حاضر منير ومستقبل مشرق[٢]أما عن ماركس فيري أن العوامل الاقتصادية هي القوي التي تحدد مسار التاريخ [٣]

والكائن الحي لا يقيم ابدا في لحظة واحدة بل أحوال الزمن الثلاث –الماضي والحاضر والمستقبل –تكون في حياة ذلك الكائن ولا يمكن تجزئته الي عناصر متفرقة.قال ليبنتز Leibnize (١٦٤٦-١٧١٦) "الحاضر مفعم بالماضي مثقل بالمستقبل ونحن لا نستطيع أن نصف الحالة الآنية للكائن العضوي دون أن نأخذ تاريخه بعين الاعتبار ،ودون أن نحولها الي حالة في المستقبل تكون الحالة الآنية منها بمثابة نقطة العبور اليها[٤].

(١) أحمد محمود صبحي :في فلسفة التاريخ ،منشورات جامعة قاريونس ،بنغازي،١٩٨٩،ص١٢٣.

(2) Collingwood(Robin):The Idea of History,oxford university press,1993,p1

(3)Walash(Wiliam):Philosophy of History An Introduction, oxford university press,1960,p26

(٤) كاسير(أرنست): مدخل الي فلسفة الحضارة الانسانية ،ترجمة احسان عباس،مراجعة محمد يوسف نجم ،دار الأندلس ،بيروت،١٩٦١ص١٠٥

وأكد نيتشة Nietzsche (١٩٠٠-١٨٤٤) أننا لا نستطيع أن نفسر الماضي الا بأرفع ما في الحاضر وحاول أن يبرهن علي أن الحس التاريخي خطر وليس ميزة وفضيلة فيها أنه مرض نقايسه وليس للتاريخ معني سوي أن يكون خادما للحياة والعمل ،ويري أن الحس التاريخي الجامح اذا اندفع الي نهايته المنطقية واقتلع جذور المستقبل [١]يري نيتشة في تطور الغرائز الشخصية للإنسان المفرد كل تطور إنساني .وكل ما يعمل مناقضا هذا التطور يمثل –في رأي نيتشة– جناية حقيقية ضد الإنسانية .وهو يوقن بوجود قوي في الإنسان تتصدي بطريقة طبيعية لتطوره الحر .فالإنسان لا يترك كي يقرر مصيره حسب دوافعه الفاعلة ،التي تنبض فيه حية في كل لحظة بمفردها ،وإنما يشترك في ذلك كل ما تجمع في الذاكرة .فالمرء تذكر تجاربه الخاصة ،ليس هذا فحسب ،بل يبحث بهدف تكوين نفسه عن تجارب شعبه أو عرقه أو حتي البشرية كلها ،وذلك من خلال حركة التاريخ ،فالإنسان ليس أكثر من جوهر تاريخي [٢].

وتري الباحثة أن الحضارة والتاريخ مرتبطان أحدهما بالآخر أشد الارتباط ولا يستطيع الانسان أن يتحدث عن الحضارة الا إذا عرف ماهية التاريخ .التاريخ هو دراسة

---

(١) كاسير (أرنست): مدخل الي فلسفة الحضارة الانسانية ، مرجع سابق،ص٣٠٩

(٢)شتاير(رودولف): نيتشة مكافحاً ضد عصره ،ترجمة حسن صقر ،دار الحصاد للنشر والتوذيع ،سوريا ،دمشق،١٩٩٨، ص١٤١.

*عبدالرحمن بن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٣) ولد بتونس وكان لأسرته قدم راسخة في العلم والسياسة ،قضي العشرين سنة الأولي من عمره متعلما للعلوم الدينية واللغوية والفلسفية والطبيعية والرياضية ومن مؤلفاته المقدمة وكتاب العبر،وتنقسم المقدمة ل بن خلدون الي ستة أبواب عرضها بن خلدون نهاية مقدمات المقدمة ،ويتم الانتقال فيها من الأكثر شمولا الي الأقل وقد صممت علي النحو التالي ١- في العمران أو في السيولوجيا العامة للحضارة :حيث يفسح المجال لتعينات أربعة متتالية يمكن أن توصف بالنظرية فطبيعة الاجتماع (مقدمة أولي)والجغرافيا الطبيعية (مقدمة ثانية)والجغرافيا البشرية المقدمات الثالثة والرابعة والخامسة علم الاجتماع (المقدمة السادسة) ٢-البدو وسيسيولوجيا البداوة :تحتوي علي طرازين من المجتمعات البشرية ٣-الملك أو في الفلسفة السياسية ٤-في الحضارة سيوسيولوجيا التمدين ٥-في المعاش أو في الاقتصاد السياسي ٦-العلوم أو سيوسيولوجيا المعرفة ويمكن رسم هذه المفاهيم علي هيئة شجرة تمثل منشأ البادية فيها الجذور ،الملك والحضارة :الجذع ،والمعاش :الأفنان العلوم ،الأوراق الثمار العصبية. **أحمد محمود صبحي :في فلسفة التاريخ،مرجع سابق ،ص١٣٤**

الماضي والماضي يتوقف عند اللحظة الأولي للحاضر ولكن فلاسفة التاريخ قد تجاوزوا نطاقه الي المستقبل بل جعلوا المستقبل الهدف لكل دراسة

ثالثا:دور المفكرين والفلاسفة في فلسفة الحضارة

١- عبدالرحمن بن خلدون

ويعد ابن خلدون*أحد رواد فلسفة الحضارة وهوأول من استخدم مبدأ العلية علي الدراسات الاجتماعية قبل مونتسيكو بأربعة قرون، كما أبرز تأثير البيئة الطبيعية والمناخ علي عادات وتقاليد الشعوب ،وعلي تقدمها الاقتصادي بل وتقدمها الفكري يحدد بن خلدون الأطوار التي تمر بها الدول في ثلاثة أطوار متعاقبة أو دورية تبدأ بالبداوة ثم يكون طور التحضر ثم طور التدهور وقد نظر بن خلدون الي الدولة علي أنها كائن حي يولد وينمو ثم يهرم ليفني فللدول عمر مثلها مثل الكائن الحي تماما وقد حدد عمر الدولة بمائةوعشرين سنة وهي تتكون من ثلاث أجيال وتقوم نظرية بن خلدون في التعاقب الدوري علي تحديد الأطوار التي تمر بالدول والحضارات بطريقة دورية وهذه الأطوار أولا طور البداوة ،ثانيا طور التحضر ،ثالثا طور التدهور(١).

١- طور البداوة : ينكر ابن خلدون النزعة الفردية والأنانية لأن مثل هذه النزعةلا تنتج حضارة ولا مدنية ولا عمرانا وعليه يري أن الانسان لابد أن يكون اجتماعيا وحضاريا وأشار بن خلدون بقوله "الناس انما يجتمعون للتعاون في تحصيل المعاش ،ابتداءًبما هو ضروري وبسيط قبل الحاجي والكمالي فمنهم من يستعمل الفلح ، ومن هؤلاء من ينتحل القيام علي الحيوان ،ومن هؤلاء من ينتحل الصنائع ،ومنهم من

(١) رأفت غنيمي الشيخ :فلسفة التاريخ ،دار الثقافة والنشر ،القاهرة، ١٩٨٨،ص٤٩

ينتحل التجارة" [١] ،ويذكر بن خلدون ان اجتماع هؤلاء (البدو–البربر–التتار)انما هوللتعاون علي تحصيل معاشهم ،والابتداء بما هو ضروري منه ويكون تعاونهم بالمقدار الذي يحفظ الحياة ،فاذا اتسعت أحوالهم وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغني والترف دعاهم ذلك الي السكون والدعة ،ثم تزيد أحوال الترف فيتخذون القصور والمنازل وهؤلاء هم الحضر [٢] ويطلق ابن خلدون مصطلح طور البداوة في حياة الأمم والشعوب والدول علي البدو الذين يعيشون في قبائل الصحراء والبربر الذين يسكنون الجبال في جماعات عشائرية وأسرية

٢–طور المدنية: حيث تأسيس الدولة عقب الغزو والفتح ثم الاستقرار في المدن،يتوقف تقدم الحضارة علي ثلاث أشياء :مزايا الأرض ومزايا الحكومة وكثرة السكان ،أما الأرض فلأنها مصدر الانتاج ،وما الحضارة الا ثمرة عمل منظم متواصل للنشاط البشري لاستثمار الارض أما الحكومة فانها يجب ان تكون قوية لحماية السكان وليطمئنوا علي ثمار عملهم ،عادلة لتشجعهم علي مواصلة نشاطهم والتمتع بثمرته ،كريمة لتشجع التجارة وتفرض الضرائب المعقولة ولذا فان ازدهار الحضارة دليل علي غني الحكومة كما أن غني الحكومة دليل علي ازدهار الحضارة واذا كانت الحكومة تدعم قيام الحضارة فان كثرة السكان تخلقها لان اجتماع عدد من السكان وتنسيق جهودهم وتوزيع العمل بينهم يجعل ثمرة جهودهم تفوق حاجتهم فلا يستهلكون الا جزءا يسيرا ويزيد الباقي عن حاجتهم يستثمرونه في الترف ومظاهر التحضر[٣]

(١) عبدالرحمن ابن خلدون :المقدمة،الجزء الأول ،دار القلم ،بيروت ،١٨٧٩،ص١٠٥.
(٢) خلدون : مقدمة ابن خلدون ج١،تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م.كاترمير، باريس،١٨٥٨،ص١٢٠.
(٣) أحمد محمود صبحي :في فلسفة التاريخ ،مرجع سابق،ص١٤٦.

٣-طور التدهور نتيجة الانغماس في الترف والنعيم ويري ان عوامل قيام الحضارة هو نفسه عوامل تدهورها وفنائها أولها العصبية حيث العصبية أساس قوة القبيلة ولا تكون الرئاسة الا في أهل أقوي العصائب وأن العصبية تهدف الي الملك وتنقل المجتمع من البداوة للتحضر وثمة قضيتان متعارضتان في مسار التاريخ :بالعصبية تتم الرئاسة لا تطيب الرئاسة الا بالاستغناء عن العصبية وثانيها هو الترف انه يزيد الدولة في أولها قوة الي قوتها انه غاية الحضارة والملك به تتباهي الدول المتحضرة وبه تقاس حضارتها وقوتها ولكن الترف هو العلة الأساسية للخلل في الدولة انه مؤذن بالفساد اذا حدث الترف أقبلت الدولة علي الهرم ؛ثمة قضيتان متعارضتان الترف مظهر الحضارة الترف هادم للحضارة ،الترف غاية العمران ،الترف مؤذن بنهاية العمران[١]

ويؤكد بن خلدون أن قمة التطور هو العمران الحضري وأن الدولة اذا بلغت هذه المرحلة بدأت في التدهور و يري أن الانتاج يتطور بتطور المجتمع ثم يتوقف هذا التطور بتوقف تطور المجتمع فهو مصيب قطعا وهذا أكبر دليل علي أن البناء الاقتصادي للمجتمع يتغير بتطور الدولة فالعمران البدوي يعتمد علي الزراعة والرعي فقط ولكنه عندما يتحول الي عمران حضري يصبح اعتماده أساسا علي الصناعة والتجارة وبالتالي يتغير بناؤه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي [٢]

ولقد توصل ابن خلدون الي عدة قواعد أو مبادئ تمثلت فيما يلي

١- أن تطور التاريخ يخضع للتدافع والصراع والتفاعل

٢- أن العصبية الدينية والقبلية لها دور أساسي في بناء الدول

٣- أن الحضارة مثل الكائن الحي في تطوره من البداوه الي الحضارة ثم التطور

(١) المرجع السابق:ص١٤١.

(٢) زينب محمود الخضيري :فلسفة التاريخ عند بن خلدون،دار الثقافة للنشر والتوزيع،٢٠٠٧،ص١٥٣

٤– أن الدول كالأفراد تخضع لدورة الحياة الفردية نفسها حتي الموت

٥– أن العوامل الجغرافية والبيئية مؤثرة في التاريخ

٦– ان للاقتصاد دورا مهما في العمران البشري

٧– أن الاجتماع ضروري لحياة الناس

٨– أن العرب (والانسانية كلها)لا تصلح بغير الدين[١]

وبالرغم من ان مادة بن خلدون مستقاة من تاريخ محدود زمانا ومكانا الا أن كثيرا من آرائه لا تزال تصدق علي أحوال الدول التي تنشأ مستعينة بالقوة العادية أوالتقليدية الا أن آراءه بصدد دوري التحضر والتدهور والديناميكية الفاعلية في انتقال الدولة من هذا الدور الي ذلك تتسم ببصيرة نافذة وحدس ثاقب[٢]

٢– كوندرسيه

ويعد كوندرسيه* Marie Condorcet رائد فلسفة الحضارة في العصرالحديث وذلك من خلال ما عرضه في كتاب روح القوانين، فهو يريد أن يحكم علي قيمة القوانين الموجودة أو تلك التي وُجدت لدي مختلف الشعوب ان كان قانونا صالحا في نظام جمهوري ،قد لا يكون صالحا في نظام ملكي ،وينتاول هذا الكتاب القوانين والعادات والأعراف لدي جميع شعوب الارض كما يتناول أيضا جميع المؤسسات الانسانية

(١) رأفت غنيمي الشيخ: فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص٧٠.

(٢) أحمد محمود صبحي :في فلسفة التاريخ ،مرجع سابق،ص١٥٠

* ماري جان كوندرسيه (١٧٤٣-١٧٩٤) وهو فيلسوف ومصصلح ثوري وفيلسوف يدعو للتقدم من أشهر مؤلفاته "بحث في تطبيق التحليل علي احتمالات القرارات الصادرة بأغلبية الأصوات"١٧٨٥، وفي عام ١٧٨٦ أصدر كتابا بعنوان "حياة ترجو" وفي عام ١٧٨٩أصدر ترجمة لحياة فولتير وقد انتشر كلا الكتابين انتشارا واسعا ويكشفان عن قريحة أدبية فائقة، دافع كوندرسيه عن الاقتصاد الحر والمساواة في التعليم الحكومي والدستورية والمساواة في الحقوق للنساء والمساواة في كل الأعراق تعتبر أفكاره وكتاباته جسدت المُثل العليا لعصر التنوير والعقلانية حيث قدم الي "الجمعية التشريعية" مشروعا لنظام التعليم كان هو الأساس في النظام الذي أُقر فيما بعد،ويبقي مؤثرا الي يومنا هذا ،توفي في السجن بعد فترة من هروبه من السلطات الثورية الفرنسية. **عبدالرحمن بدوي:الموسوعة الفلسفية ،الجزء الثاني ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،١٩٨٤،ص٣١٣**

ويبحث أكثرها ملائمة للمجتمع ويبحث عن أصلها ويكتشف أسبابها المادية والمعنوية ويري أن القانون عامة هو العقل البشري متحكما في كل شعوب الأرض ،وتعد القوانين السياسية والمدنية في كل أمة هي الحالات الخاصة التي يطبق فيها هذا العقل البشري [١] .

يري كوندرسيه أنه لا يوجد حد لقدرات العقل البشري وأن جميع البشر هم نتاج الطبيعة ويتمتعون بحقوق متساوية والتقدم البشري يعتمد علي قدرة الفرد علي تثقيف وصقل نفسه والعقل البشري يجب أن يتقدم من اللاعقلانية الي العقلانية ومن الخرافة الي العقل [٢]

يعد كوندرسيه من أهم فلاسفة التاريخ علي مبدأين هما :

مبدأ القانون العام :بمعني أن الانسانية بجميع جوانبها تسير وفق قانون عام يحدد مراحل تطور المجتمعات البشرية

مبدأ التقدم:بمعني أن الانسانية في تطورها وفق القانون العام تسير دائما نحو التقدم وهو تقدم قائم علي أساس العلم ومحاربة الخرافات

كان كوندرسيه متفائلا بمستقبل الانسانية ،فرسم صورة جميلة للتقدم الانساني في المستقبل عن طريق التقدم في العلوم المختلفة .وقد شجع هذا التفاؤل العلماء والمفكرين علي السير في طريقهم حتي وصلوا الي عصر

الازدهار العلمي العظيم الذي نعيش فيه[٣]

---

(١) كريسون(أندريه): تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطي حتي العصر الحديث، ترجمة نهاد رضا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ٢٠١٧، ص٢٣٩.

(2)Randy Chafy: Exploring the Intellectual Foundation of Technology Education: From Condorcet to Dewey, Journal of Technology Education, Fall 1997, Vol. 9 No. 1,p8

(٣)عاطف وصفي: نوابغ الفكر الغربي(كوندرسيه)،دار المعارف،الطبعة الثانية،بدون تاريخ، ص٨،٩.

عرض كوندرسيه العوامل التي تحدد نظام الحكم في مجتمع ما، بعد أن قسم أنظمة الحكم الي استبدادية وارستقراطية وديمقراطية وقد رفض الحكومة الاستبدادية واعتبرها حكومات قد تجردت من الشرف والفضيلة ،ولم تكن حملته علي الحكام فحسب وانما علي الحاشية أيضا اذ يقول:تتألف أخلاق معظم البطانات في كل زمن ومكان من الطموح في كنف البطالة والضعة المتسترة وراء الكبرياء والرغبة في الثراء دون عناء [١] .

يمثل كوندرسيه نموذجا من المفكرين المعتنقين لنظرية التقدم معبرا في ذلك عن عصرالتنوير ويتمثل تصوره للماضي من أجل الحاضر والمستقبل فيما قدمه من لوحة تاريخية لتقدم العقل البشري

وقد قسم تاريخ الحضارة الي عشر عصور كل عصر يمثل فترة محددة في تقدم الانسانيةويميز كوندرسيه العصور التالية في تطور الإنسان

١–العصر الأول فيه يجتمع الناس علي هيئة عشيرة ،فيها صنع الانسان أسلحته وكان رؤساء العشائر يحددون التنظيم الاجتماعي والسياسي والأخلاقي ،تكونت لدي الانسان مفاهيم بدائية عن الكون كانت بداية الطب والسحر عرف الأعشاب الطبيعية ولكنه كون حولها معتقدات سحرية [٢]

٢–العصر الثاني وهو عصر الرعاة ،وفيه تنشأ الملكية ومنها ينشأ عدم التساوي بين الناس بل وينشأ الرزق ولذلك يتوافر الفراغ لممارسة الشؤون العقلية واختراع الآلات البسيطة جدا

(١)أحمد محمود صبحي :في فلسفة التاريخ ،مرجع سابق ،ص٥٨.
(٢) المرجع السابق:ص١٨٧

٣-العصر الثالث وهو عصر الزراعة فيه يزداد الفراغ والثراء ويتحسن توزيع العمل وتطبيقه وتتحسن طرق المواصلات وباختراع الحروف الأبجدية في هذا العصر تكون معرفتنا بالتاريخ أوسع وأدق ويبدأ التاريخ بالمعني الصحيح

٤-٥- العصران الرابع والخامس :هما العصران اليوناني والروماني

٦-٧- العصران الخامس والسادس العصور الوسطي وتنقسم الي مرحلتين :تنتهي الأولي بانتهاء الحروب الصليبية وتنتهي الثانية باكتشاف الطباعة في سنة ١٤٥٣

٨-العصر الثامن يبدأ من اكتشاف الطباعة ويستمر حتي قيام ديكارت بوضع منهجه الفلسفي الجديد في سنة ١٦٣٧.

٩-العصر التاسع يبدأ من ثورة ديكارت الفلسفية وينتهي بقيام ثورة ١٧٨٩الثورة الفرنسية وهي ثورة سياسية عقلية ويتميز هذا العصر باكتشاف طبيعة العالم الفيزيائي بفضل اسحاق نيوتن وتحديد طبيعة المعرفة الانسانية بفضل جون لوك وكوندياك

١٠-ويتنبأ كوندرسيه بأن العصر العاشر المقبل سيتميز ب ثلاث خصائص هي القضاء علي عدم المساواة بين الأمم والقضاء علي التفاوت بين الطبقات وتحَسن الأفراد والكمال المتزايد للطبيعة الانسانية عقليا وأخلاقيا وجسمانيا وارتقاء الانسان في ذاتها وزوال تشتته وتحقيق وحدته [١].

ويؤكد كوندرسيه علي الصلة بين الأرض والحرية والزراعة فزراعة الارض وامتلاك الممتلكات لا يدعمان الحرية فحسب بل يحدث تقدما من خلال العمل وزراعة الأرض كما يري أن هناك ارتباط بين المناخ والطبيعة الجغرافية للشعوب فشعوب الشمال

(١)عبدالرحمن بدوي:الموسوعة الفلسفية ،الجزء الثاني، مرجع سابق، ص٣١٦.

أحرار بينما شعوب الجنوب خاضعة المناخ الحار يجعل الناس في الجنوب كسالي وجبناء .في حين أن المناخ البارد يجعلهم أقوياء ومجتهدين[١]

ويري كوندرسيه أن الانسان يميل أن يمنح سلطة مطلقة كما يجب فصل السلطات الثلاث حتي تتوفر للأمة الحرية ولقد كان علي وعي بأن كتابه (روح القوانين)لا يظهر الا في دولة تنعم بالحرية ولقد نُشر عقب وفاة لويس الرابع عشر ليكون أول مؤلف أوروبي يعرض لفلسفة الحضارة عرضا شاملا[٢] .

وظل المؤرخون والمنظرون السياسيون ،وعلماء الأجناس البشرية ،والجماهير بشكل عام التفكير بشأن صعود الحضارات وهبوطها بأشكال دورية وتدريجية يورد الجزء السادس من الكتاب الذي ألفه بوليبوس وعنوانه تواريخ وهو الكتاب الذي يروي قصة صعود روما أن عملية الدورة السياسية تجري علي النحو الآتي ١–حكم العائلة المالكة

٢– حكم الملك الواحد ٣– الاستبداد ٤– الارستقراطية

٥– حكم الأقلية ٦–الديمقراطية ٧– حكم الرعاع [٣]

ويعتبر كوندرسيه رائد تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في كل الحقوق ومنه الحقوق السياسية وهو بطل التعليم المجاني لكل أفراد الشعب ويري ان التعليم هي القاعدة الأساسية في تحقيق التقدم والنهوض بالمجتمع والتقدم عنده عبارة عن تجميع للمعارف العلمية وتطبيقها وهي تساعد علي تحسين مستوي الانسانية [٤] كما طالب باعادة كتابة التاريخ بطريقة موضوعية خالية من العواطف والتحيز أو التعصب القومي

(1)Manjeet Ramgotra: Time, modernity and space: Montesquieu's and Constant's ancient/modern binaries, HISTORY OF EUROPEAN IDEAS,London, 2022, VOL. 48, NO. 3p267

(٢) أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص٥٧.

(٣) فرغسون(نيال): الحضارة(كيف هيمنت حضارة الغرب علي الشرق والغرب)،مرجع سابق،ص٤٤٥.

(٤)رائد أمير الراشد:دراسات في فلسفة التاريخ،مكتبة الميثاق للطباعة والنشر والتوزيع،بغداد،٢٠٢٠، ص٣٠٧

والديني والدين عند كوندرسيه يجب أن ينحصر في أمور الهداية والأخلاق للفرد فقط ولا يجب أن يتدخل في الأمور الفكرية والسياسية للبشر،ولقد شرح مسيرة تقدم الحياة الانسانية وهو يري تقدم الانسانية في خط مستقيم صاعد نحو الأفضل والكمال وتعد الثقافة والتعليم هي القاعدة الأساسية في تحقيق التقدم للمجتمع و من خلال دراسة الماضي والحاضر للانسانية يمكن التنبؤ بما ستؤول اليه هذه الانسانية ويتحقق تطور وارتقاء ذاتي للفرد وهكذا فقد كان متفائلا في نظرته للمستقبل

٢- شبنجلر(أوزفلد)

يعد شبنجلر ***Oswald Arnold Spengler** الفيلسوف الألماني من الفلاسفة القلائل ذوي النظرة الأصلية الي التاريخ ،فلم يكن هذا الفيلسوف ناقلا عن غيره أو متأثرا بأحد سوي جوته ونيتشة حينما أعلن رأيه في التاريخ والحضاراة بل كان في كل ما قاله مبتكرا في تحليلاته ،ولهذا كان له تأثير بالغ علي من أتوا بعده من فلاسفة التاريخ خاصة آرنولد توينبي[١].

اعتمد شبنجلر في كتاباته علي تراث النقد الثقافي بعباراته المُلغزة ومفاهيمه الميتافيزيقية مثل "روح الشعب"و"ذاكرة العرق" ،كما اعتمد علي نظرة القرن التاسع عشر العضوانية للتطور التاريخي والتي مزجها بالتقليد الحيوي الذي ورثه عن نيتشة

*ولد الفيلسوف الألماني شبنجلر(أوزفلد) في مدينة بلانكتبرج في ألمانيا عام ١٨٠٠ ،ثم تخصص في العلوم الطبيعية فدرس في جامعة برلين ثم جامعة ميونخ وفي آخر الثلاثينات أصدر كتابه الذي اكسبه شهرة واسعة وهو "انحلال الغرب " ويتالف من جزئين ،والي جانب هذا العمل ترك شبنجلر كتبا كثيرة "هيرقليطس :دراسة في الافكار الرئيسية الديناميكيةفي فلسفته"،"البروسية والاشتراكية"١٩٢٢،"البناء الجديد للرايس الألماني " ١٩٢٤،"الانسان والتكتيك "١٩٣١،السنوات الحاسمة :ألمانيا وتطور التاريخ العالمي"١٩٣٣وله مجموعة من الخطب والمقالات تحت عنوان "خطب ومقالات لاوزفلد شبنجلر " وتوفي عام١٩٣٦. **عبدالرحمن بدوي:الموسوعة الفلسفية ،الجزء الثاني ،مرجع سابق،ص١٣،١١.**

([١])مصطفي النشار: فلسفة التاريخ (نشأتها وتطورهامن الشرق حتي توينبي)، دار الميسرة للنشر والتوزيع، الأردن ،٢٠١٢، ص٢٢٦

فمن رأيه أن أي ثقافة تاريخية تشكل كلا واحدا لأن لديها قوتها الحيوية الداخلية الخاصة والتي تجعلها جزءا من الحياة بكل اكتمالها وتقرر مصيرها المستقبلي ،ويزعم شبنجلر أنه قد الي مستوي جديد من التفكير التاريخي ،وليس مجرد وصف للحضارات ككل ،وانما بالتنبؤ بتطورها وبمصيرها القادمين [١]

و فلسفة الحضارة عند شبنجلر قائمة علي عنصرين وهما

١- التفسير البيولوجي للتاريخ

٢- دوائر الحضارة

١-التفسير البيولوجي للتاريخ

يبدأ شبنجلر ثورته الجديدة بوضع تمييز بين التاريخ وبين الطبيعة فيري أن التاريخ مطبوع بطابع الحدوث مرة ما ،أما الطبيعة فمطبوعة بطابع الامكان باستمرار وكل مذهب في الطبيعة مكون من مجموعة حقائق ،أما التاريخ فيقوم علي وقائع والوقائع تتوالي بينما الحقائق يستنبط بعضها من بعض والتاريخ حادثة حاضرة ذات اتجاه نحو المستقبل ونظرة الي الماضي ،نري الطبيعة من وراء كل زمان مطبوعة بطابع الامتداد دون اتجاه ،وفيها تسود الضرورة الرياضية ،ويري شبنجلر أن الحياة لا تفسر بغير الحياة ولذلك فان الفرد يمثل التاريخ والتاريخ يمثل الفرد وكلاهما لا يفهم بدون الآخر فالفرد والحضارة يكونان نسيجا واحدا .ويميز شبنجلر بين التاريخ والتأريخ أي كتابة التاريخ .فالتاريخ غير التأريخ بل ان الواحد لا يكاد يقوم الا علي أساس انكار الآخر .وذلك لأن التاريخ صيرورة خالصة ،بينما التأريخ لا يمكن أن يقوم الا بتحويل شئ

(١) آرثر هارتمان: فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، ترجمة :طلعت الشايب، تقديم رمضان بسطويسي، المجلس الأعلي للثقافة، العدد٢٣٣،١٩٩٧،ص٢٩٠.

من هذه الصيرورة الخالصة الي ثبات .وكلما كان الجزء المتحول من التاريخ أكبر كانت عملية التأريخ أيسر [١].

إذا كان العلم الطبيعي يقوم علي مقولة العلية فان التاريخ في نظر شبنجلر لا يجب أن يقوم عليها لأنها تفيد الضرورة وتلحق التاريخ بالعلوم الطبيعية وانما يستبدل بها مقولة المصير .ولا يعني شبنجلر بالمصير ما كان يفهمه به فلاسفة اليونان والتراجيديا اليونانية من أنها مفهوم مرادف للجبر أو القوة الخارجية التي تحدد سلوك ،انما يعني بالمصير شعور الانسان بذاته ازاء قوة انسانية أخري تتحداه وتجعل وجوده في خطر .وحينئذ تنبثق طاقات الانسان الكاملة من أجل تأكيد الوجود [٢].

واكد شبنجلر التعارض بين فكرة الصيرورة وبين مبدأ العلية ،وأخذ علي السابقين أنهم لم يعترفوا بهذا التعارض اعترافا قويا واضحا بكل ما يحتويه من ضرورة عميقة ،ذلك أن الحياة في نظر شبنجلر هي الصورة التي عليها يتم تحقيق الممكن .واذا كانت الحياة كذلك فيجب أن تعتبر كأنها كائن موجه غير قابل للنقص في أية لمحة من ملامحه ،وأنه مثقل بالمصير .ان العلية هي المعقول والقانون وما يمكن التعبير عنه وهي علامة وجودنا الواعي العقلي كله .اما المصير هو اليقين الباطن الذي يجب علي الانسان أن لا يصفه وأن لا يعبر عنه [٣].

والصيرورة عند شبنجلر هي جوهر الحياة، أما الموت فجوهره الثبات، والتاريخ والحياة سيان .والحياة وقائع وأحداث ، ،والتاريخ تيار وقائع ،ولغة الحقائق هي القانون ،لان القانون علاقة ضرورية بين علة ومعلول ،والعلاقة وحدها هي الثابتة ،بينما الوقائع

(١)فؤاد زكريا: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل ،بيروت ،١٩٩٣، ص.١٤٥
(٢)مصطفي النشار: فلاسفة أيقظوا العالم ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠١٥،ص٤٧٢.
(٣) عبدالرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص١٠.

دائما متغيرة،أما لغة الوقائع فهي المصير ،لأن المصير اتجاه حياة تخلق من جديد باستمرار ،ففيه خلق وفيه اتجاه،والاتجاه هو الزمان ،لان الاتجاه معناه استحالة الاعادة ،واستحالة الاعادة حد الزمان ،فاذا كان مقابل الزمان هو المكان فمقابل الاتجاه هو المصير ،أما الامتداد فمنطقه القانون وهكذا الطبيعة سياقها القانون ورمزها الامتداد بينما التاريخ سياقه المصير ورمزه الاتجاه والمكان اذا من شأن الطبيعة أما الزمان فمن شأن التاريخ[١]

ولا يعبر عن سياق التاريخ غير المصير ،ومن ثم فقد أخطأت نظرية التقدم في فهم مسار التاريخ اذ تصورته تقدما مطردا للعقل البشري الي ما لا نهاية بينما التاريخ مسرح لعدد كبير من الحضارات يسري عليها ما يسري علي الكائنات العضوية تنبت وتنضج وتذبل وتفني ان تاريخ الحضارة كتاريخ أي كائن حي –انسانا أو حيوانا أو نباتا –أما تصور التاريخ يتقدم الي ما لا نهاية فانه كتصور نمو اليرقة تنمو بالتغذي الي غير نهاية ،انه كما أن للكائن الحي دورةحياة كذلك للحضارة الظاهرة الأولية للتاريخ العالمي كله ما كان منه وما سيكون دورة حياة مغلقة [٢] .

٢–دوائر الحضارة

أحدث شبنجلر ثورة اشبه بالثورة الكوبرنيقية في التاريخ حيث نظر اليه لا علي أنه مركز الحضارة الأوروبية وتدور حولها الحضارات الاخري بل نظر اليه علي أنه مكون من حضارات ربما كانت بعضها تفوق الحضارات الاوروبية من حيث عدد

(١)عبدالرحمن بدوي: شبنجلر، مكتبة النهضة، القاهرة،١٩٤٢ ، ص١٤.
(٢)المرجع السابق: ص٧١.

الشعوب المنتمية اليها ومن حيث قوتها الروحية وهذا يتضح لو أن كل حضارة درست كوحدة منفصلة [١]

ويقول شبنجلر" التاريخ اشبه بالحياة الانسانية فهو مجموعة من الدورات فهو سلسلة من المراحل التي يجب اجتيازها وعلاوة علي ذلك اجتيازها بتسلسل منظم والزامي "[٢]فالتاريخ في نظر شبنجلر مكون من كائنات عضوية حية هي الحضارات وكل حضارة منها تشبه الكائن الحي العضوي تمام الشبه ،فتاريخ كل حضارة كتاريخ الانسان أوالحيوان أو الشجر سواء بسواء والتاريخ العام هو ترجمة حياة هذه الحضارات ،فاذا كان سياق الحياة واحدا بين الأفراد التي تدخل تحت نوع واحد ،فللحضارات جميعا سياق واحد تسير عليه[٣]

.ويري شبنجلر أن لكل حضارة بما في ذلك الحضارة الغربية تحقق ثقافة بعينها ،كل حضارة هي شئ يفوز ويتنفس ويزدهر وكل ثقافة لها امكانياتها الخاصة الجديدة للتعبير عن الذات التي تنبثق وتنضج وتنحل ولا تعود ،كل منها بلا هدف وكل منها تكرس ثقلها وقيمها من أجل أشياء(الزمان–المكان)الشئ الوحيد الذي له معني جوهري هو قوة الحياة ومنطقها العضوي ،والحضارة عند شبنجلر هي شيخوخة الثقافة [٤]

لكن ما هو منهج شبنجلر في دراسة التاريخ ؟وكيف يتصور معالم هذه الدراسة بعد أن أعلن الثورة الكوبرنيقية فيها ؟

---

(١)أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(2)spengler(Oswald):The deline Of TheWest,translated by Charles Francis Atkinson, New York,1926,p3

(٣)مصطفي النشار :فلسفة التاريخ (نشأتها وتطورهامن الشرق حتي توينبي)، مرجع سابق، ص٢٢٨.

(٤)هارتمان(آرثر): فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، مرجع سابق، ص٢٩١.

١–ان الحضارة هي وحدة الدراسة التاريخية أو الظاهرة الأولية للتاريخ العالمي كله ما كان منه وما سيكون ،لأن الحضارة ظاهرة روحية لجماعة من الناس لها تصورواحد عن العالم وتتبلور وحدة تصورهم في مظاهر حضارية من فن ودين وفلسفة وسياسة وعلم ،وتشكل هذه الوحدة شخصية حضارية لها خصائصها الذاتية ومن ثم لا تتماثل حضارتان .يسمي شبنجلر كل حضارة بأهم سمة أو مقولة لها ،فالحضارة اليونانية يسميها الأبولونية وهي تتمثل فنيا في التمثال المحدود ذي الأجزاء المتناسقة [١].

٢–ولما كانت الحضارة كالكائن العضوي الحي فانها تمر بنفس الأدوار التي يمر بها هذا الكائن الحي في تطوره .فلكل حضارة طفولتها وشبابها ونضوجها وشيخوختها . أو مثل فصول السنة لكل حضارة ربيعها وصيفها وخريفها وشتاءها ولكل فصل خصائص ومميزات [٢]، ويلاحظ شبنجلر أنه لا توجد رابطة عميقة بين حضارة وأخري اذ ينفي أن حضارة ما تستطيع أن تفهم الأخري أو تتعلم منها أو تتأثر بها فهو يري في الحضارات نموذجا يتكرر كدورة حياة في الكائن الحي ويفحصها بمدلول توالي الفصول الأربعة .فلكل حضارة ربيعها متمثلا في عصر بطولة مبكرة وتكون الحياة ريفية زراعية اقطاعية ويعرف روحيا بخيال مثيولوجي خصب .ويليه صيفها وفيه تظهر المدن والتنظيم السياسي وهو في الوقت نفسه ثورة ضد المثيولوجيا ويظهر فيه ذكاء نشط يدفع الدين الي الخلف ،ويقدم شكلا علميا من الوعي ،وخريف الحضارة هو فترة مدن نامية وتجارة منتشرة وملكيات مركزية وفيه يبدو انحلال الدين وفقر الحياة،ثم تنحدر الحضارة الي الشتاء الذي يمثل ذبول الابداع الفني والزمني وموت الدين وظهور الشك والمادية المفرطة وعبادة العلم بقدر فائدة العلم وهو عصر طغيان

(١)أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص٢٤٧.
(٢)اشبنجلر: تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص ٦٢.

سياسي متزايد وحروب وتفقد الحياة روحها وتتقلب الي مجرد مدنية فهي تهبط الي نوع من البربرة وهنا تنتهي حياتها [١] .

٣-ويستعمل شبنجلر منهج التماثل ،المستخدم في علم الحياة ،ليبين أن كل الظواهر والصور الدينية والفنية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية "متعاصرة"بين جميع الحضارات في نشأتها وتطورها وفناءها .وأن التركيب الباطن لاية حضارة هو عينه التركيب الباطن لكل الحضارات ،بل ولا توجد ظاهرة واحدة ذات قيمة عميقة في الصورة التاريخية لحضارة ما دون أن يوجد ما يناظرها تماما في غيرها من الحضارات [٢].ولكن ما قيمة هذه المقارنة بين الحضارات؟ وما أهمية التعرف علي المظاهر المتعاصرة فيما بينها ؟

أ-سيكون في استطاعتنا أن نستعيد تركيب عصور مرت ولم نعد نعلم عنها شيئا ،ان اعادة تركيب الماضي علي هذا النحو ،يكشف عما عجزت الآثار والوثائق الكشف عنه

ب- يمكن بمنهج التعاصر التعرف علي ايقاع التاريخ ومساره ومغزاه ومن ثم يمكن أن نتجاوز حدود الحاضر للتنبؤ بالمستقبل تنبؤا علميا دقيقا ،والتعرف عما ستكون عليه الأدوار القادمة للحضارة الاوروبية بعد أن أمكن تتبع سياق تطورها ومسارها

ج-لا تبدو الأحداث التاريخية مفاجئة لنا فليست الحرب العالمية الأولي حادثا استثنائيا ولدته نزعات السيطرة والسيادة لدي بعض الامم أو الأفراد ،ولا تفسر في

(١) مصطفي النشار: فلاسفة أيقظوا العالم، مرجع سابق، ص ٤٧٨،٤٧٧.
(٢)عبدالرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص١١.

ضوء العوامل الاقتصادية وحدها إنما تمثل بذلك نقطة تحول في الحضارة الأوروبية تناظر الانتقال من العصر الهليني إلي العصر الروماني [١].

تري فلسفة الحضارة عند شبنجلر أن الكائن العضوي وحدة مستقلة ،والفرد المستقل بكيانه يمتاز الي جانب فرديته بالخلق المستمر فلا يستطيع الكائن الحي أن يمر بحالة واحدة مرتين مهما كانت الظروف واحدة ،ومعني هذا أن دورة التطور في الكائن الحي دورة مقفلة .ولقد طبق شبنجلر هذا علي الحضارات .فاذا كانت الحضارات كائنات عضوية فانها تمتاز بهذه الصفات التي يمتاز بها كل كائن عضوي .فلكل حضارة كيانها المستقل المنعزل عن كيان غيرها من الحضارات ولا سبيل إلي اتصال حضارة بحضارة أخري ما دامت كل حضارة باعتبارها كائنا عضويا تكون وحدة مقفلة علي نفسها ،وما يشاهد من تشابه بين حضارة وأخري إنما هو وهم فحسب فهو تشابه في الظاهر ولا يتعدي الي الجوهر لان كل حضارة تعبير عن روح أي حضارة أخري في جوهرها وأسلوبها وممكنات وجودها [٢] .

ومن خلال هذه النظرة استطاع شبنجلر أن ينتقد من كانوا ينظرون الي الحضارات كوحدة واحدة تسري عليها قوانين التأثيروالتأثر وروابط العلة والمعلول .وهذا يتضح من قوله بأنه ربما يكون هناك اتصال بين حضارتين لكن هذا الاتصال يتم .اما بين فرد وفرد ينتسب كل منهما الي حضارة من هاتين الحضارتين واما بين الفرد وبين الآثار الباقية من الحضارة التي انقضت ،والفعال في كلتا الحالتين هو الفرد لا الاثر لأن

(١) أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٥٢،٢٥١.
(٢) مصطفي النشار: فلاسفة أيقظوا العالم، مرجع سابق، ص ٤٨٤

حياة الأثر لا توجد الا بفضل الفرد الذي يتأمل الأثر ويستشعر به في ذاته ويهبه روحا جديدة لروحه الخاصة [١].

وحدد شبنجلر ثماني حضارات عالمية جديرة بالاعتبار وهي البابلية ،المصرية،الصينية ،الهندية ،المكسيكية قبل كولومبوس ،الكلاسيكية ،أو الاغريقية ،الرومانية ،الاوروبية الغربية ،والمجوسية التي تضم الثقافة العربية اليهودية والبيزنطية [٢]

ولكن كيف تقوم مقولة المصير بدورها في التاريخ؟وكيف يمكن تفسير التاريخ وفقا لمنهج الحضارات المغلقة والتعاقب الدوري للحضارات ؟يري شبنجلر أنه لابد من عوامل خارجية مستثيرة حينئذ تصبح هذه العوامل ظروفا ملائمة لميلاد حضارة جديدة زاخرة بامكانيات خصبة ،وتظهر الحضارة وتخرج الي حيز الوجود في بيئته يكون كل ما حولها في فوضي مطلقة فتمتد في خطوط رائعة في شق المجالات لتفرض ارادتها بالقوة علي الفوضي المطلقة التي حولها محطمة ما يعترض سبيلها بما لديها من طاقات كامنة مبدعة في شتي المجالات من لغة ودين وعلم وفن ،وتظل هذه الروح تطلق ما لديها من امكانيات علي هيئة تشريع وسياسة ومذاهب دينية وفنون وعلوم ،وحينما تتلاقي حضارتان وتكون إحداهما أشد قوة ولكن الأخري أعظم ابداعا وأكثر عراقة أو علي الاقل مساوية لها،أن تضطر المهزومة أن تتلائم ظاهريا مع الحضارة الغالبة ما دامت لا تستطيع أن تنمو معبرة عن طبيعتها الخالصة ،وتتشكل مظاهر هذه الحضارة في القوالب الفارغة التي فرضتها عليها الحضارة الأجنبية [٣].

(١)المرجع السابق: ص ٤٨٤

(٢) هارتمان(آرثر): فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، مرجع سابق، ص٢٩٠.

(٣) أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ،مرجع سابق ،ص ٢٥٣.

ويسمي شبنجلر تلك الحالة التي تضطر فيها حضارة عريقة إلي الخضوع والتلائم الظاهري مع حضارة مسيطرة بالتشكل الكاذب ،وهناك حالة ثالثة الي جانب الحالتين السابقتين :وهي حين تلتقي حضارة أشد قوة وأكثر عراقة وأعظم خصوبة وخلقا وابداعا بحضارة لا زالت في المهد فتختنق الأخيرة كالحضارة المكسيكية وحضارة الهنود الحمر في الأمريكتين فقد قضت عليهما الحضارة الغربية الحديثة [١].

وهذه هي الحالات الثلاثة التي تتعرض كل حضارة لاحداها اذا شكلت حضارة أجنبية قوة ضاغطة عليها ،واذا كانت الحالة الأولي تمثل ميلاد حضارة جديدة ،اذا كان كل حضارة لها دورة حياتها من ميلاد الي فترة شباب الي شيخوخة يعقبها فناء ،فما عوامل شيخوخة الحضارة ؟وما مظاهر هذه الشيخوخة كيف تنتقل الحضارة من مرحلة ازدهارها الي تدهورها ؟الحضارة هي روح زاخرة بالامكانيات التي تنطلق الي أن تستفيد الحضارة امكانياتها الخلاقة وروحها المبدعة ،انها كالشجرة التي فقدت عصارتها ونضب منها معين الحياة حققت صورتها النهائية ولا يعني ذلك أنها تموت فجأة ولكنها تمر بخريف عمرها الذي لابد أن يعقبه شتاء ،انه لم يعد في استطاعتها أن تعلو علي الحد الذي آلت اليه بعد أن حققت في الخارج كل ما تحوي عليه من امكانات باطنة حينئذ ينضب معينها وتخور قواها وتحجر كيانها فتصبح مدينة بعد أن كانت حضارة ،ولكنها ما زالت قادرة علي البقاء كالشجرة التي استنفذ الزمن عصارتها لا تزال قائمة وان أصبحت أغصانها فريسة السوس.

ولقد اجتازت الحضارة الأوروبية مرحلة الخلق والابداع الي مرحلة المدنية اذ سكنت الصورة الحيوية التي كانت تمدها بالابداع ،ان كانط يمثل نقطة التحول من الحضارة

(١)عبدالرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية ،مرجع سابق، ص ١٢

الي المدينة اذ حدد الصيغة النهائية للفكر الفلسفي فمالت الفلسفة من بعده الي الجانب العملي المعبر عن طابع المدينة ،كذلك كان أرسطو في الفلسفة اليونانية [١]

نتائج البحث

الحضارة الانسانيةهي صورة لكفاح دؤوب للانسان فهي تمثل أرقي ما وصل اليه الانسان في تنمية واكتساب القيم الاخلاقية وتمثل أرقي صورة وصل اليها المجتمع الانساني في التقدم العلمي والفني ،ان كفاح الانسان ومحاولته الدائمة الاستفادة من كل عناصر الوجود لبناء نفسه وحضارته لابد وأن يقترن بقيم أخلاقية متفق عليها وقادرة علي التكيف مع القوي الطبيعية المختلفة والاستفادة منها ومن المستحيل توقف الانسان عن تطوير نفسه باستمرار فهذه هي فطرة الله في الأرض ،وتبقي الصورة المثلي للحضارة الانسانية التي نطمح اليها حضارة تتسابق فيها التطور الأخلاقي مع التطور التقني

يعد بن خلدون أول من رسم خطوط فلسفة الحضارة وما يميزه أنه لم يتخذ الدين مادته لدراسة فلسفة الحضارة فمادته الأساسية هي التاريخ والمجتمع لقد خضعها للبحث والتأمل والملاحظة، ويعد بن خلدون أول من قال بأن مسيرة التاريخ دورة لا تنتهِ من البداوة إلي الحضارة تعد نظريته في التعاقب الدوري أهم معالم عرضه لتطور الحضارات ويختلف كوندرسيه عن بن خلدون حيث جعل مسار التاريخ يسير قدما للأمام وضع تقدم الانسانية في خط مستقيم صاعد نحو الأفضل والكمال وكان ذا نظرة تفاؤلية لمراحل تقدم الانسانية

(١) أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ،مرجع سابق، ص٢٥٥.

يتصف منهج شبنجلر بالجبرية المطلقة،حيث أن لكل حضارة صيرورة حتمية واتجاها زمنيا و وتاريخا محددا؛فنحن محكومون بنهاية والهبوط والسقوط هما أمران حتميان وهي فكرة ترتبط بعمق باحساسنا محكومون بالفناء ، فالتطور التاريخي أو الثقافي أو التقدم الصناعي كلها قد خطها المصير والقدر،فلقد نظر اشبنجلر الي معظم الحضارات أنها يجب أن تمر عبر دورة حياة فلا يستطيع الفيلسوف اعادة بناء الماضي فحسب بل قدم من خلال كتابه تصورا مظلما لمستقبل الحضارة الاوروبية مشبعا بروح اليأس والقلق، وهذا ما ينسجم مع مزاج وطنه الذي ذاق مرار ة الهزيمة وتشاؤم اشبنجلر وجد صداه لدي الكثير من المفكرين الغربيين الذين شغلتهم مسألة مستقبل الحضارة الغربية والتي أصبح استمرارها امرا غير مضمونا فكان لابد لهم من دراسة هذه الحضارة ووضعها موضع التساؤل ومع اعتراض كثير من الباحثين علي تمثيل اشبنجلر الحضارة بالكائن الحي أو تفسير مسار التاريخ تفسيرا بيولوجيا فان أحدا لم يقدم اجابة وافية عن امكان أن تتحاشي حضارة مصير سائر الحضارات من تدهور وفناء،فيري المستقبل لا يمكن أن يكون سوي فترة من الانحدار الذي لا رجعة فيه ،وحقيقة أن آراء شبنجلر تتسم بالتحليل العقلي أو الأحكام العلية فذلك في رأيه منهج العلم، ولقد كان لآراءه تأثير بعيد المدي ليس فحسب في توينبي –أكبرمؤرخي العصر وانما في آراء كثيرة من مفكري فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الذين أصبح شغلهم الشاغل الحديث عن مصير الحضارة الغربية وأزمة الأوروبي المعاصر من أمثال كولن ولسن وهربرت ماركيوز

Abstract:

This research explores the concept of civilization and its connection to philosophy, delving into the philosophy of civilization and its most prominent figures. It also examines the philosophy of history. Human civilization is considered a reflection of humanity's struggle throughout life, representing the highest achievements in developing moral values and ethical principles. It represents the finest expression of human society's achievements in scientific and artistic advancement.

Humanity's constant struggle and efforts to utilize all elements of existence to build himself and his civilization—efforts that are tied to agreed-upon moral values capable of adapting to, and benefiting from, various natural forces—are what give human life its meaning and value. Without this struggle, human life would stagnate, and civilizational growth would halt at a certain point. However, it is impossible for humans to stop advancing their lives, as this is a natural inclination instilled by God in humanity. Human civilization is always renewing and evolving.

The research also discussed the most important philosophers of civilization, including Abd al-Rahman Ibn Khaldun, who identified the stages that civilizations go through and established the principles and rules upon which they are based. Additionally, the philosopher Condorcet, who proposed two principles for studying history: the principle of general law and the principle of progress, as well as outlining the division of the history of civilization into ten eras.

Spengler, who proposed a distinction between history and nature, suggested that history is defined by its one-time occurrence,

while nature is characterized by the possibility of continuous recurrence. He also introduced the principle of becoming and emphasized the importance of understanding Spengler's method in studying history, as well as recognizing the contemporary aspects of civilization and its cycles.

قائمة المصادر والمراجع

١-المعجم الفلسفي، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت، جـ٢، ١٩٨٢.

٢-معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط٣،٢٠٠٦.

٣-حسن حنفي :دراسات فلسفية ،مكتبة الأنجلوالمصرية،القاهرة،١٩٨٧.

٤-إميل برهييه :تاريخ الفلسفة، ترجمة:جورج طرابيشي،ج٣،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٨٣.

٥-إ.م.بوشنسكي:الفلسفةالمعاصرة في أوروبا،ترجمة عزت قرني،عالم المعرفة،العدد١٦٥،١٩٩٢.